الثورة ALTHAWRAH
الاثنين : 20 صفر 1435هـ > 23 ديسمبر 2013م > العدد 17931

الشاعر أحمد المعرسي:

لا شيء أجمل من الشعر ولا أعذب من صراع مجازاته

(اطلقيني يد المسافات إني / موجع ا لخطو يستشف القفارَ
لم يعد لي هواجسٌ تعتريني / أصمت الجدب أيكتي والقمارى
المدى يشرب المسافات حولي / يزدريها فلا تعير اعتبارَ
راحل والخطى بقايا حروف / مُسرَجاتٌ تنوح أهلا ودارَ
بي من الحزن ما به الحزن مني/ من شجون وحرقة لا تُبَارى)

فراراً من الفقر، لاذ شاعرنا بهذه القصيدة التي ذبحت روحه كتابة ولحظة في محضرٍ من التفافات جبال "عسير" و"نجران" واتساعات وحشة خبوت التهائم المفتوحة على الموت جوعاً.. عاش يتم الأب في الرابعة من عمره، ليقضي سنين صباه إما غريباً مودعاً للدراسة في محافظة "تعز" اليمنية.. أو ضارباً أكباد القفار بين السعودية واليمن، للبحث عن فرصة عمل تعوله وأمه وإخوانه عاضاً على نواجذ الطاعة، سائراً على متن النص المحمدي (صلى الله عليه وسلم): "كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يعول".. فوق هذا كان يواصل التعليم.. لتنبت بين اليتم والفقر والعلم قصائداً برائحة الحزن والحب والتصوف فصدر له (احتضار الغروب - شهوة الكبريت -ديوان تراب الظل - عمل حاصل على جائزة الرئيس - نسمات من ريمة كتاب حول الأدب الشعبي فاز بجائزة رئيس الجمهورية (2006) لكن الأهم في تجربته هو التحول إلى الشعر الصوفي المحمدي، ليصدر له دواوين اسمها (مقامات الروح في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم) التي تعتبر من أجمل التجارب الشبابية في شعر التصوف.. ولم يكتفي بهذا بل هام بحثاً في بحار شعر المتصوفة فزاده ذلك نصاعة وحضورا في النص واللحظة... إنه الشاب المتصوف الشاعر أحمد علي المعرسي.. فإلى فضاء تجربته الفتية في الشعر الصوفي الموغل في حب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم..

• حوار / محمد محمد إبراهيم
mibrahim734777818@gmail.com

• من (مقام المثول في مدح الرسول) قرأتك واحدا من أشهر الشعراء الشباب المتصوفة الذين سلبوا انتباه المعجبين بهذه المدرسة.. ماذا عن بداية تحولك إلى هذا النهج ؟

- التحول هو مقام التكوين القائم بين الجعل والصيرورة لهذا لم يكن التحول الذي تعنيه في سؤالك بداية الطريق فأنا وأنت وكل ما في الكون كلمة بيضاء نقشت على اللوح المحفوظ, وكما أن الله يختار أنبياءه فهو يختار شعراءه _أيضا_ فاللغة سر السماء في الأرض بها نصل إليها وفيها نبحث عنها فهي جزء الحقيقة المطلقة ونحن جسد العجز, لهذا حين نحاول ترتيب أرواحنا على مخيلتها نخلق مقامات الدهشة لذا أستطيع القول: إن الشعر جمال هذا الكون وأسماؤه وصفاته الحسنى وإن التصوف غيب المعرفة من حضر فيه غاب عن نفسه ومن حضر في نفسه غاب عنه لهذا أجزم أنني ما زلت غائبا عنه وعني غير أني أرتب مخيلتي للقائه.

• وأنت ترتب لهذا اللقاء.. ماذا وجدت على جنبات طريق إلى شعر التصوف ؟

- اعتقد أنه لا شيء أكبر من الروح ولا أضيق من اللغة, كما أنه لا شيء أجمل من الشعر ولا أعذب من صراع مجازاته والوقوع في شراكه, إن الشعر في تقديري كلمة الغيب التي ألقاها الله في ماهية الحقيقة الإنسانية وسر النفخة التي جعلت لهذا الكائن البشري حقيقتين حقيقة في جانب الخلق, وحقيقة في جانب الحق, ولو لم يكن ذلك لما خلقنا الله من كلمة, وجعل خلاصة التوحيد في رسمها كلمة ومثل لنا أسماءه وصفاته في كلمات ولا مبدل لكلماته.

مقامات الروح

• استوقفك في مقام من نهوى جميعا (الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ..ماذا عن لحظة كتابة مقام الذهول في مدح الرسول صلوات ربي وسلامه عليه ؟

- لا أخفيك أن هذا النص كتب في الروضة الشريفة في المسجد النبوي, وله قصة لطيفة سأوردها لا لشيء.. إلا ليؤمن القارئ: أن الحب أقرب طريق للوصول _كنت قد كتبت قصائد كثيرة في المديح النبوي منها مقام المثول والوصول, والنزول, والقبول, والدخول, وهي قصائد جمعتها في ديواني النبوي مقامات الروح_ وكان الشوق إلى زيارته صلوات ربي عليه وعلى آله قد بلغ مني مبلغاً, فصادف أن ذهب صديقي الشاعر /الحارث بن الفضل وهو صاحب ديوان الحبيب المصطفى إلى المدينة المنورة, فطلبت منه أن يسلم على رسول الله صلوات ربي عليه وعلى آله, ويقول أمام الشباك: "إن المعرسي يذوب شوقاً لرؤيتك يا رسول الله ويريد بطاقة دعوة ليمثل بين يديك, فصنع ذلك, ولم تمر سوى ثلاثة أيام حتى أتصل بي من وزارة الثقافة وبُلّغت أن الوزارة رشحتني لتمثيل اليمن في الأسبوع الثقافي اليمني في المملكة, وأن الفعالية التي سأقيمها ستكون في المدينة المنورة"..وأثناء زيارتي للمدينة كتبت ذلك النص في الروضة الشريفة في لحظة غيبية غارقة في الذهول, ولك أن تتخيل شاعراً يكتب قصيدته بين يدي الحبيب المصطفى.

• بمن تأثرت وجدانيا وشاعرية في نصوصك الصوفية ؟

- بفقيه القرية, حين كان يستقبل الفجر بقصائد البرعي, بفأس أمي, حين كانت تجمع الأحطاب وتردد: "يا صلوات الله ع النبي" على محمد سيدي, بدفتر متهالك هو كل ما ورثته عن أبي, وهو الدفتر الذي كان يجمع محاولات أبي من الشعر الشعبي في مجال المديح النبوي, بالمجموعة النبهانية, والروح العلوانية, بالشوق البرعي, والمعرفة الحلاجية, بعيون الإمام الصرصري, وبوجدان الشهاب المحمود, بإشارات الإمام البوصيري, بأحمد العروسي فقيه المغرب, الذي كم باهيت رفاق دربي!..أن اسمي يشبه اسمه وهو شاعر محمدي, وكم شعرت أن الله لم يخلقني إلا لأكتب قصيدة ربما لم يستطع - العروسي- كتابتها, بالأرض وهي تخبئ في جبتها بذور الحياة بالشمس وهي في مقام المكاشفة, بالريح وهي قطب ملاماتي, بالليل وهو سفر الخلوة, بي وأنا مسربل بثوب الستر, بك وأنت حقيقة لا أعرفها, بالشعر وهو يقين أبحث عنه.

الغياب عن الوعي

• صوفية الشعر, وسكون النفس, واطمئنان القلب, ما المشترك الروحي في هذه المسميات من خلال تجربتك الشعرية و إحساسك الذهني المستجمع للحظة إلهام النص وأجواء صنعته ؟

- الغياب ...ومن ذاق عرف.

• علمت إن لك اهتمام بحثي مترامي الشجون الأدبية والروحية بشعراء المتصوفة ..ماذا عن هذا العمل البحثي ؟

- هي محاولة ناقصة لإكمال ما ابتدأه الشيخ النبهاني في المجموعة النبهانية حيث قام بجمع أربعة مجلدات كلها في المديح النبوي فمنذ خمس سنوات وأنا عاكف على جمع الشعر النبوي كي أقدمه في شكل موسوعي, وبما يليق مع هذا الهدف السامي وقد جمعت الشيء الكثير غير أن شعراء الحبيب المصطفى أكثر مما يتخيله عاقل.

• ولماذا لا تصدرها ؟

- ما أجمل ما قاله أحد الشعراء: "لي مانع من طبع ديواني كما/لي مانع من ذكر اسم المانع".

• كيف وجدت هذه الأسماء ؟.. الشاعر المتصوف الكبير أحمد ابن علوان.. ؟

- (كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)

• عبدالرحيم البرعي.. ؟

-(سلام قولا من رب رحيم)

• عمر ابن الفارض.. ؟

-(حبة أنبتت سبع سنابل, في كل سنبلة مائة حبة)

• أسماء أخرى لملمت أشتات غيابها بروحك النهمة ؟

- (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا).

• ما الذي يميز كل من ابن الفارض وابن علوان ؟وأين يلتقيان ؟

- ابن الفارض غمامة حب وابن علوان صحراء شوق, يفترقان في الغياب ويلتقيان في الغيب..

تجربة البرعي

• ما الفارق المميز في تجربة عبد الرحيم البرعي عن سائر شعراء التصوف ؟

- الشعر... وهو أشعر شعراء الحبيب المصطفى على الإطلاق, وباعتقادي إن البرعي أول شعراء المديح النبوي وآخرهم وأنه الشجرة التي حجبت الغابة فما استطاع شاعر قبله ولا بعده أن يماثله, ولعل ما يميز البرعي هو الصدق الشعوري المنساب من روح شاعرةٍ محبة, في لغة ليس كمثلها شيء, فـ(سلام عَليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا).

الحميني والموشحات

• الحميني والموشحات الصنعانية وكذا الأندلسية تتميز بدفق وجداني متناهي أقرب إلى شعراء المتصوفة.. كيف تقرأها أنت ؟

- أرى أن الحميني والموشح مادة اللحن, واللحن روح التصوف, والتصوف روح الدين لا سيما التصوف الفلسفي والمعرفي فلا أخفيك أنني أكفر بتصوف الدراويش, لقد أستطاع الشعر الحميني والموشح أن ينقل حنين الأنفس على إيقاع النغم إلى أقاصي القلوب فتحولت القلوب إلى مغتسل بارد وشراب, ولقد ساهم تنوع الأوزان في الموشح والمبيت إلى تعدد لغات الروح ولو لم يكن ذلك لما أمر كبار العارفين بالله مريديهم بالسماع كالجنيد والبغدادي وغيره ولما طارت موشحات لسان الدين الخطيب وأشعلت مسامع الدهر.

• ولماذا غاب تكرار هذه الظاهر الشعرية برأيك..؟

- هي لم تغب, وإنما غابت المعرفة وحضر المغالون, فما أسهل أن يكفرك أحدهم لأنه لم يستطع فهمك, وما أسهل أن يقتلك أيضا, كما أن غياب الروح وحضور الدين الشكلي أفقد الناس ذائقتهم, إن الأدب أكبر من أن يحاكمه فقيه أو تحيط به ذائقة منفردة, لهذا أؤمن أن الله سيخرج من أصلاب هؤلاء من يقول: (ربنا لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا).

الصوفي والعاطفي

• لماذا يجتمع المنحى الصوفي والعاطفي في بعض القصائد اليمنية المغناة كقصيدة (السنا لاح) لابن شرف الدين و(واشاري البرق من تهامة) للقاضي عبدالرحمن بن يحيى الآنسي.. وقصيدة (جل من نفس الصباح) للقاضي أحمد بن عبد الرحمن الآنسي.. ؟

- حدث ذلك في الشعر العربي كثيرا وإن تعددت صور ظهوره فالاستهلال بذكر الأطلال وغيرها, أشبه بالاستهلال بالمنحى العاطفي ثم العروج إلى فضاءات الروح كما أن المنحى العاطفي والروحي لصيقان حد التماهي فالقلب الذي يضيق بحب فتاة يستطيع أن يتسع لله (فسبحان من لم يسعه سوى قلب عبده الشاعر).

الأنثى والتصوف

• هل ثمة اهتمام نسوي بكتابة النص الصوفي من خلال قراءاتك شعريا كان أو نثريا ؟

-اللغة أنثى والقصيدة أنثى فلا عجب أن تمثل الأنثى مفازة الروح في المشهد الشعري الوجداني ابتداء بالشاعرة صفية بنت عبدالمطلب, عمة الحبيب المصطفى صلوات الله عليه, وانتهاء باللحظة, غير أن الذكورية أقرب ما تكون إلى التجرد فالأنثى تتجرد من كل شيء إلا من أنوثتها, والتصوف منازعة الأهواء, والأنثى سجينة ضعفها فهي أقرب معايشة للمقام الملاماتي من مقام التجرد, إلا في النادر ولايقاس على النادر كما حدث في تصوف رابعة العدوية, أعتقد أن المشهد النسوي أقرب إلى الرمز الصوفي من التصوف, وأقرب إلى المعنى الروحي من الروح, فهناك حضور غير لافت للنص الروحي في المشهد النسوي لكنه ما زال مدفونا في أرض الخمول وما لم يدفن جيداً لا يتم نتاجه.

• كيف تقيم المشهد الشعري الشبابي في اليمن ؟

-المشهد الشعري في اليمن يعيش طفرة من حيث الكم, لكنه لا يعيشها من حيث الكيف, فالصوت الخاص غائب والتناسخ في المشهد حاضر حد التماسخ, والشعراء الشباب أشبه ما يكون بآلات تكرير النفط ولكن في مصفاة واحدة أسمها البردوني, ولعل غياب النقد هو من أفرز ذلك غير أن هذا التناسخ والتماسخ قد ينجب وإن طال به العقم مسيحا لمشهد شبابي نوعي.

إدوارد سعيد..
والمؤثرات الدينية للثقافة

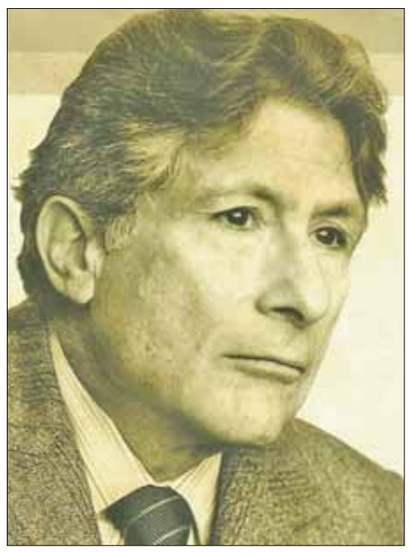

أصدر مشروع "كلمة" التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً بعنوان "إدوارد سعيد .. والمؤثرات الدينية للثقافة"، للمؤلف وليام د.هارت، وقام بنقله للعربية د.قصي أنور الذبيان، ويُقدِّم الكتاب عرضا مُمَيِّزاً لنقد إدوارد سعيد للثقافة الحديثة، عبر تسليط الضوء على التمايز القائم بين الدين والدنيوي، وهو ما تتكئ عليه فكرةُ الكتاب، ويُعالَجُ هذا التمايز على نحوٍ حرفيّ ومجازيّ في آن، إذ يُشير المؤلف إلى التقاليد الدينيّة، من جهة، وتلك الدنيوية، من جهة أخرى، وإلى المجازات التي تُوسِّع معنى الدين والعلمانيّة ومرجعيّتهما.

كما يتناول المؤلف هذه المجازات باعتبارها أفضلَ وسيلةٍ لتنظيم المتون النصيّة غير المتجانسة الخاصّة بسعيد بدءاً بكتابه الأول "جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية"، مروراً بكتاب "الاستشراق"، أكثر كتبه تأثيراً، وانتهاء بأعماله الأخيرة حول المسألة الفلسطينية.

إن ثنائية الدين-العلمانيّة، تكمن كتمايُزٍ يُمثل فعلاً تخييلياً واستمراريّة سرديّة، قابع خلف نقد سعيد الثقافيّ، ومفهوم المسؤوليّة لديه، فضلاً عن جدله العامّ مع مايكل فالزر حول معنى قصّة الخروج أو الإقصاء.

وتتركز اهتماماته والموضوعات التي يتناولها في هذا الكتاب ككافة إصداراته على العلاقة بين القوة والهيمنة الثقافية الغربية من ناحية، وتشكيل رؤية الناس للعالم وللقضايا من ناحية أخرى.

أمّا مؤلف الكتاب فهو الدكتور وليام د.هارت، الأستاذ المساعد في علم الأديان-جامعة ديوك، ومن كتّاب المجلة الأمريكية للفلسفة واللاهوت، وهو عضو في الأكاديميّة الأميركيّة للأديان، واللجنة الجنوبية الشرقية لدراسة الدين. تدور اهتماماته حول التقاطع بين الفكر الديني والنقديّ، والدراسات الدينية التراثية، والطبيعيّة، وما بعد المُعاصرة.

ترجم الكتاب الدكتور قصي أنور الذبيان، وهو حاصلٌ على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة آركنسا في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ويعملُ أستاذاً مساعداً في قسم اللغة الإنجليزيّة في الجامعة الهاشميّة في الأردن، يدرس الأدب، والأدب المقارن، والنقد الأدبي، وتتمحور اهتماماته البحثية حول أدب ونظرية ما بعد الكولونيالية، والدراسات الشرق أوسطية، والدراسات الثقافية، والترجمة من منظور ما بعد كولونيالي.

العولمة وأبعادها

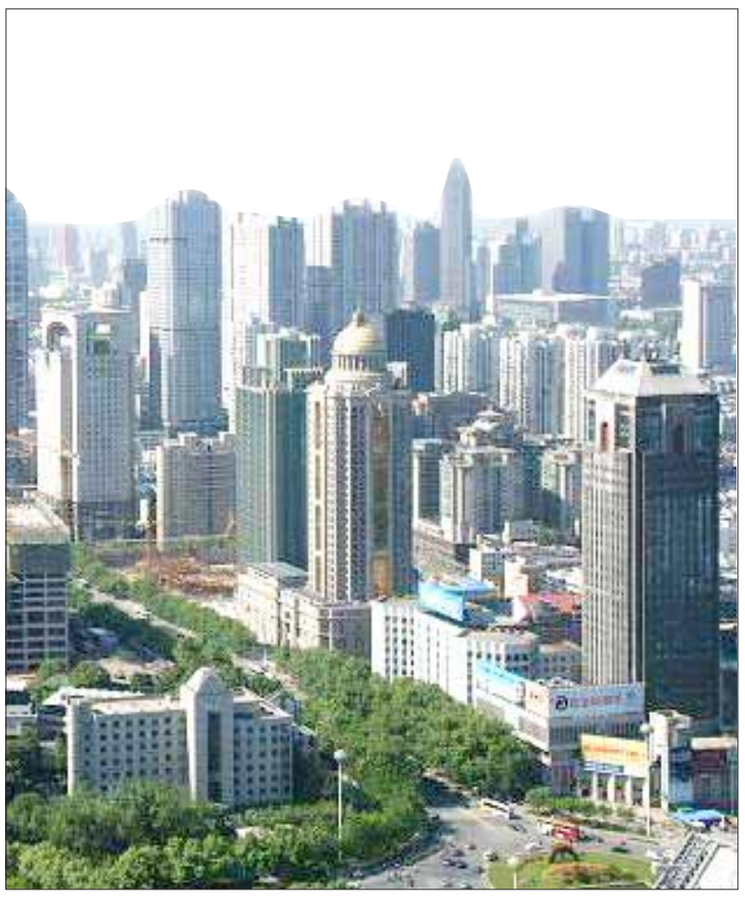

قدّم الباحث الهندي أرجون أبادوراي، سلسلة من دراسات ومؤلفات خصّ فيها العولمة، من حيث أبعادها الاجتماعية والثقافية. وهو يذهب في الاتجاه نفسه بعمله الأخير الذي يحمل عنوان: «المستقبل كواقع ثقافي»، يجمع فيه دراسات عدة حول الشروط العامّة للعولمة.

الموضوع الأساسي للكتاب الجديد: «العولمة الثقافية» التي شكّلت مركز الاهتمام الرئيسي للمؤلف منذ عقود من الزمن. إذ إنه أصبح بمثابة مرجع في الميدان. والمساهمات التي يتضمّنها الكتاب مكتوبة خلال السنوات العشر الأخيرة، تحت عنوان عريض يهدف إلى أن يكون مساهمة في دراسة العولمة.

يشرح المؤلف أن العولمة الراهنة «ليست نتاجاً جديداً» للإنسانية، ولكن لها جذورها ونماذجها القديمة. ويحاول أن يلقي الضوء على ما يعتبره شجرة نسب الحقبة الحالية من هذه العولمة، عبر دراسة مجموعة من الظواهر التي كانت قد قدّمت لها، وعلى رأسها العنف وسيادة مفهوم السلعة والنزعات القومية والأبعاد المادية في حياة المجتمعات الإنسانية.

وإذا كان مؤلف هذا الكتاب يولي اهتمامه للعولمة من حيث أبعادها الثقافية، فإنه يضع الهند، بلاده، في صميم هذا العمل. ويركز داخل الهند نفسها على الرؤية السائدة للعولمة لدى سكان الأحياء الفقيرة، على أطراف مدينة بومباي.

ويؤكد المؤلف في التحليلات المقدّمة، أن هؤلاء السكان يناضلون من أجل حصولهم على العدالة. وعلى الاعتراف بوجودهم وبواقع التفاوت الاجتماعي الذين هم في طليعة ضحاياه. لكن رغم هذا كله، ينظر إلى المستقبل بـ«شيء من الأمل».

ويتعرض المؤلف في الكتاب للأسئلة الأساسية الخاصة، للعلاقة بين الاقتصاد والثقافة وأشكال تبدّي هذه العلاقة في مجال العلوم الاجتماعية. هذا إلى جانب توصيف ملامح المنظومات الأخلاقية التي ترتسم في الأفق في ظل حالة من القلق والخوف من المستقبل. ويشدد على أن العولمة لا تعني أبداً إيجاد نموذج «نمط» ثقافي متجانس، وبالتالي لا يمكن للثقافة أن تغدو سلعة: «شيئاً» يخضع لقوانين السوق.

ويرى المؤلف أن هناك «آليات لإعادة الاختراع» بوساطة الثقافة. والمثال الذي يدرسه يتمثل في لعبة الكريكيت الهندية التي أعادت اختراع النسخة الأصلية «الإنجليزية» من تلك اللعبة. ففي البداية كانت الكريكيت تمثل قيماً تقليدية لإنجلترا الاستعمارية. ذلك باعتبارها «رياضة رجالية» تعتمد على السيطرة على النفس، وعلى الاستقامة.

وفي الهند، جرت عملية تكييف وتغيير لمفهوم اللعبة. إذ استخدمت في البداية من أجل نقل القيم الإنجليزية إلى الهند الاستعمارية، بهدف «إخماد النزاعات» بين مختلف المجموعات البشرية المعنية. واعتباراً من سنوات الثلاثينات في القرن الماضي، أصبحت الكريكيت رياضة هندية أصيلة بامتياز، بالتوازي مع صعود النزعة القومية. ولا تزال تحظى حتى اليوم بشعبية كبيرة في الهند، ولا تزال «مشرّبة بالنزعة القومية»، خاصة أثناء المباريات مع باكستان.

وفي هذا المعنى تبيّن عملية «صبغ الكريكيت بالصبغة الهندية» نوعاً من الآلية التي يمكن تطبيقها على مختلف القيم، التي تريد العولمة نشرها في العالم. لتصبح قيماً «ذات نكهة محليّة» في تعبير عن واقع ثقافي، ما يعني أن المستقبل نفسه سيكون بمثابة واقع ثقافي، كما يشير عنوان الكتاب.

ويرى المؤلف أنه ينبغي للعولمة أن تكون تعبيراً عن «ممارسة ذات طبيعة أخلاقية». ويدعو في مثل هذا السياق، إلى أنه عليها أن تسهم في «بعث الأمل بين فقراء العالم». ويرى أن بعث مثل هذا الأمل يستدعي تصميم مشروع ثقافي له بالضرورة تداعياته السياسية والتنموية.

ومن ثم دفع الفقراء نحو «فسحة الأمل». وذلك فعلياً لن يكون نتاج خطاب ثقافي صرف، مهما كانت شحنته الأخلاقية. ولكن الأمر يستدعي بالضرورة خلق نشاطات منتجة للفقراء تحسن من أحوالهم المعيشية.

المؤلف في سطور

أرجون أبادوراي.. باحث هندي معروف، متخصص في القضايا الاجتماعية - الثقافية المعاصرة. عمل سابقاً كنائب رئيس للشؤون الأكاديمية في «المدرسة الجديدة - نيوسكول» في نيويورك. درّس في العديد من الجامعات الأميركية والأوروبية. لديه مؤلفات ودراسات متنوعة، منها: الحداثة الشاملة: الأبعاد الثقافية للعولمة.

الكتاب: المستقبل كواقع ثقافي-تأليف: أرجون أبادوراي- الناشر: فيرسو بوك - نيويورك 2013 - الصفحات: 336 صفحة-القطع: المتوسط.